تفريغ محاضرة رقم (٩٠)

- شرح كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد -

للشيخ / خالد منصور

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد،

نواصل بحول الله وقوته مدارسة فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله وطيب ثراه.

بلغنا بحول الله وقوته باب: ما جاء في اللو.

أي في قول الإنسان لو كان كذا لكان كذا، وقول الله عز وجل: (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا).

وقوله سبحانه وتعالى: (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا).

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إحرص على ما ينفعك، وإستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان).

قال الإمام رحمه الله صاحب متن كتاب التوحيد: فيه مسائل؛ أي هذا الباب فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين من آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول: لو، إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن، إختيار الألفاظ وتنسيق الجُمل، والإنسان يحاسب يعني على كلامه.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الإستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك وهو العجز.

نرجع لشرح كلام الشيخ عبدالرحمن لمتن كتاب التوحيد.

بيقول هنا: قوله باب ما جاء في اللو، أي من الوعيد والنهي، ما جاء في اللو من الوعيد، الوعيد اللي هو ضد الوعد يعني، اللي هو مقصده التخويف والزجر، يعني الشرع بيأتي بقانون الوعد والوعيد في الأعمال وفي الأقوال وفي الأحوال، وفي المعاني الظاهرة والمعاني الباطنة، تمام؟ فهنا يَعِد بالثواب على كذا وكذا من الخير، ويَعِدُ بالعقاب أو يوعد بالعقاب على كذا وكذا من الشر، يبقى أنا عندي قانون الثواب والعقاب نسميه الوعد والوعيد، يبقى ثواب الوعد، والوعيد العقاب أو التخويف به.

يبقى هنا ما جاء في اللو من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة، يعني إيه عند الأمور المكروهة؟ لما ينزل بك أمر يضايقك، لما تنزل بك أزمة من الأزمات، تنزل بك مصيبة عافاك الله والمسلمين؛ تقول: لو كان كذا كان حصل كذا كذا، ليه بقى؟ هنعرف لإن ده نوع من التسخط على القدر، حتى لو كان الإنسان مش قصده كده، بس هذا يفتح هذا الباب، وده معنى قول النبي ﷺ: (فإن لو تفتح عمل الشيطان)، طب إيه اللي دخل ده في باب التوحيد؟ ما هو من جملة الإيمان بالتوحيد، الإيمان بالقدر، والقدر سر التوحيد، كما يقول أئمة السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم: القدر سر التوحيد، يعني الإنسان اللي ربنا فتح له باب علم في باب الإيمان بالقضاء والقدر هيستقيم باب العلم عنده في باب توحيد الله سبحانه وتعالى على الوجه الذي يرضيه عنه.

نرجع ثاني لكلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله، قال: قوله: باب ما جاء في اللو أي من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة، طب عند الأمور اللي مش مكروهة؟ أنا مش زعلان من حاجة ولا مضايق من حاجة، بس بيقول له: لو جيتني بكرة الصبح هنتقابل إن شاء الله وأدي لك كذا، دي تفتح عمل الشيطان؟ لأ لإن هذا ليس بمكروه، لو نجحت السنة دي هجيب لك هدية، دي تفتح عمل الشيطان؟ لأ ما تفتحش أصل دا أمر مش مكروه، عشان نوجه توجيه النهي، لو لوحدها مجردة ممنوع عنها؟ لا طبعاً، لو عند الأمور المكروهة التي تنزل بالإنسان هي التي جاء النهي فيها (فلا يقلن أحدكم لو فإن لو تفتح عمل الشيطان).

أنا بأكد في الدخلة دي عشان تبقى أنا عارف إن دا باب مُشكل عند كثير من الناس، وسبب الإشكال عدم الدراسة، هو واخدها كده على كيفه كده، النبي قال: (إن لو تفتح عمل الشيطان)، يبقى شيلها من الجدول خالص، لأ مش كده، أنت مش فاهم، وإلا ما القرآن مليان لو، تمام؟ والنبي ﷺ بيقول: (لو إستقبلت من أمري ما إستدبرت لجعلتها عمرة في حجة)، والعلماء بيقولوا: لو إستقبلت من أمري ما إستدبرت لحصل كذا وكذا وكذا، وعائشة بتقول: "لو إستقبلت من أمري ما إستدبرت، ما غَسَلَ رسول الله إلا نساؤه)، إذا لو ما هياش كخة، ما هياش جريمة يعني، هي لها ثقافة في الإستخدام، متى تنفع ومتى ما تنفعش؟

فهنا في طرة الباب كده في الأول هنا عشان تبقى أنت داخل من الإيه؟ من الباب مش من الشباك يعني، بيقول: الوعيد والنهي عن هذا اللفظ عند الأمور المكروهة كالمصائب، إذا جرى بها القدر، ليه؟ لما في ذلك من الإشعار بعدم الصبر، ومن الإشعار بالأسى على ما فات، مما لا يمكن إستدراكه، فالواجب التسليم للقدر، وخذ بالك أنت لما تقعد تغم في نفسك وتزهق في نفسك وأنا اللي عملت كده ولو حصل كذا كان جرى كذا، أنت كده بتحل؟ ما بتحلش، يبقى الحال إيه اللي بيحصل؟ أنت بتدي لنفسك جرعة غم زيادة، وجرعة يأس أكثر، خلاص قل: قدر الله وما شاء فعل، خلصت المسألة.

ولذلك النبي محمد ﷺ؛ غلام من اللي بيخدموا النبي بيجري بحاجة قام كاسر حاجة، بس أمهات المؤمنين يفزعن؛ الحاجة إنكسرت، زي ما ولد كسر كوب، كسر طبق، النبي يعمل

إيه؟ (لو قُدِرَ لكان)، زي ما آباءنا كانوا يقولوا إيه؟ أهي أخذت الشر وراحت، يعني كويس إنها جاءت على قدر كده، وده نظر ناس عقلاء، رحمهم الله، وده من حكمة العامة الأباء والأجداد، ناس ما درسوش حاجة، لكن أثارة الخير والهدى بقي فيهم بتخليه إن هو يحول مسار الأزمة، الأزمة خلاص حاجة إنكسرت، المش عارف إيه إندلق؟ إيه إنشرخ؟ إيه إتعطل؟ طب خلاص ما هو خلص، أصل هو إنتهى، هو باظ خلاص، يبقى الحل؟ أتسلى وأتصبر لأنه (لو قُدِرَ لكان)، لو ربنا قدر أنها تفضل كانت فضلت، إن هو قَدَرَ ولطف، تمام؟

يقول: فالواجب التسليم للقدر، والقيام بالعبودية الواجبة وهو الصبر على ما أصاب العبد، الواجب عليك عند نزول البلاء، الواجب عليك عند نزول المصائب من أي نوع يعني؟ أن تصبر، يعني صبرك ده مش ذوق منك ده فرض عليك، الصبر: حبس النفس عن التشكي، وحبس اللسان عن التسخط، وحبس الأعضاء عن شق الجيوب ولطم الخدود، والمظاهر اللي بنشوفها من أهل الجاهلية عياذاً بالله.

يبقى هنا بيقول: والقيام بالعبودية الواجبة وهو الصبر على ما أصاب العبد مما يكره، والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة، وأدخل المصنف رحمه الله تعالى أداة التعريف على لو، وهذه في هذا المقام لا تفيد تعريفًا كنظائرها، لأن المراد هذا اللفظ، تمام؟ كما قال الشاعر: رأيت الوليد بن اليزيد مباركًا شديدًا بأعباء الخلافة كاهله

رأيت الوليد بن اليزيد، هو المفروض اسمه وليد بن يزيد فحط الألف واللام وهو أصلاً وليد ده إسم علم، هتعالم هو في إسم العلم؟ هو الاسم العلم أصلاً ده مُغرق في المعرفة، تمام؟ يزيد اسم علم مغرق في المعرفة، طب بتحط له معرفة ثاني ليه؟ قال لك: زي دي كده يعني اللو اللي هنا الألف واللام ما هياش للتعريف، باب ما جاء في اللو، أي في اللفظ الذي يُقَال فيه لو، بس ده هيبقى طولت قوي فراح حاطط ألف ولام وخلاص وإقتصر الموضوع.

وقوله تعالى: (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا)، طب إيه وجه الإستدلال بالآية بقى؟ إن ده من كلام المنافقين، وإحنا مأمورين إن إحنا ما نتأساش بهم، المنافقين لما

خرجوا مع النبي ﷺ بعضهم يعني في بعض الغزوات فقُتِل بعض الناس منهم، تمام؟ فقالوا إيه بقى؟ (لو أطاعونا ما قتلوا)، الجماعة المنافقين اللي هم بيقولوا على أصحابهم لو كانوا قعدوا معنا، وقالوا له: بلا جهاد بلا بتاع أقعد هنا، ما كانش مات، لأ وأنت تعرف إزاي ما كانش مات؟

ودي اللي بقى تدخل لنا بإيه؟ هتتكلم في باب المصائب، واحد ماشي في السكة وعربية خبطته، يقول لك: ما أنا قايل له من صباحية ربنا بلاش النهاردة، بلاش أهو لو ما كانش طلع ما كنش مات، مين قال لك؟ مين قال لك؟ أنت تعرف إزاي إنه لو ما كانش طلع ما كانش مات؟ أيوا ما هو ما ماتش إلا لما طلع وأنا قلت له ما تطلعش، ما هي واضحة أهي، لأ هي دي بقى لو اللي بتفتح عمل الشيطان، لإنك قلتها عند أمر مرضي ولا مسخوط؟ أمر مسخوط، أمر مكروه ولا محبوب؟ مكروه، زعلان يعني ولا فرحان؟ زعلان وهطق من جنابي، أهي دي اللي بتفتح عمل الشيطان، تمام؟ لإنك بتخليك تخوض في أشياء لا علم لك بها.

طيب لو فرضنا عايزين نرجع الشريط بالراحة كده، هو ينفع اللي خرج والعربية خبطته ما يخرجش؟ يعني ممكن يحصل؟ ممكن يحصل إن إحنا إنه ما يحصلش؟ ممكن يُتَصَور إن الصورة دي تتمسح من التاريخ؟ يعني نرجعها من الشريط ونمسحها ما يروحش، ولا لازم تحصل؟ طيب لو ما حصلش؛ أنا أعرف إيه اللي ممكن يترتب؟ من لو ما حصلش ده بقى من علم ما لم يكن لو كان كيف يكون، طب وده شغلنا؟ دا من خصائص الرب جل وعلا.

ولذلك المثل المشهور بقى: لو صَبَر القاتل على المقتول كان مات لوحده، غلط، طب خلاص ما كانش مات لوحده، غلط برضه، الله! أومال نعمل إيه؟ الله أعلم، إحنا ما نعرفش، أصل هو ما صبرش، ما هو أنت بتتكلم على جريمة قتل حصلت وخلصت خلاص إنتهت، أنت بقى بتفرض ما لم يكن لو كان كيف يكون، هو القاتل قتل بالفعل، فهل حصل إنه ما قتلش؟ لا ما حصلش، حصل إنه صبر؟ لأ ما حصلش، طب أنت بتفرض إنه لو صبر مش هيموت، أو كان هيموت لوحده، إزاي دي؟ ده خوض في القدر، وهذا من الأمثال

المنحرفة، لو صبر القاتل على المقتول كان مات لوحده، لأ قل: لو صبر القاتل على المقتول الله أعلم ما نعرفش، الله أعلم، هذا من علم ما لم يكن.

طيب هنا بيقول إيه بقى؟ في الآية (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا) قاله بعض المنافقين يوم أحد، لخوفهم وجزعهم وخورهم، تمام؟

قال ابن إسحاق من أئمة السيرة رحمه الله: فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبدالله بن الزبير قال: قال الزبير بن العوام أحد العشرة: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين إشتد الخوف علينا، أرسل الله علينا النوم، ودي حاجة عجيبة جداً جدًا، يعني الإنسان لما يبقى في حالات الخوف والأرق ما بيعرفش ينام، أسهل حاجة لعلاج الأرق إنه ينام، ولذلك في دكاترة ربنا يعافينا وإياكم من تخصص أمراض النوم، يعني بقى النوم ده له ملف لوحده في أساتذة النفسية الكِبار، تخصص، أمراض النوم مشكلات النوم، إن الراجل مش بينام مستريح أو بينام أكثر من مطلوب أو نومه مش طبيعي زي خلق الله، يتعالج بقى لإن دي حالة مش طبيعية، لإن النوم دا نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى.

فوقت الحرب والضرب والخوف، مين يجي له نوم يا قلبي في ليلة مولعة نار؟ دا الدنيا بتضرب تقلب تنام إزاي؟ ما تعرفش تنام ده مش طبيعي، ما إنتاش نايم وخايف وقلقان مش هتعرف تتلم على بعضك، العدو هيدغدغك، ما هو أنت مش عارف ترتب صفوفك، يحصل إيه من ربنا سبحانه وتعالى؟ يلقي عليهم النوم، يعمل لهم ريستارت كده، يرجعوا نشاط ثاني، زي ما الجهاز مهنج، تعمل له إيه؟ رستره بقى وخلاص، إعمل له ريستارت عشان ينام ثانية ويفتح ثاني، أهي دي نعمة النوم، بس فين بقى؟ عند ملاقاة الأعداء، فالنوم في المشاهد العبادية الكبيرة زي الجهاد يكون نعمة من الله عز وجل، وصدقة من الله عز وجل على العبد، طب النوم في الصلاة بقى والنوم في مجالس العلم لا لا يا جميل دا أنت كده الشيطان وأخذك بالحضن، يبقى هنا النوم قد يكون نعمة وقد يكون نقمة، تمام؟ إنسان لما يبقى عنده هدوء صدر كده وسكينة وسلام وينام كده في الوقت المناسب ويصحى في الوقت المناسب، يقوم يقول لك: الواحد ياه كأنه يجيء عشر ساعات وهو نايم ربع ساعة، ليه؟ لأنه

إتهنى بالشوية دول، يعني إستشعر، النوم جاء في الوقت المناسب بالقدر المناسب، والجسم محتاجه جداً جدًا ولا زاد عن الحد ولا نقص، ده فين ده كمان؟

الله المستعان، قدر الله وما شاء فعل، درس عملي، تابعنا تبع الناس الثانيين.

يبقى هنا بنقول عشان الإنسان ينام لازم يلم أعصابه، يتلم على بعضه، فهنا إيه يقول بقى الزبير بن العوام؟ لقد رأيتني مع رسول الله حين أشتد الخوف علينا، النتيجة: ما حد النوم طار من عينينا، صح؟ يقول أرسل الله علينا النوم (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه)، يبقى ما هوش نوم بقى إن هو ينام يمدد ويشقلب لأ، ده هو يعمل ريستارت بس كده، حتى في زرار في الكمبيوتر إسمه إيه؟ سليب، بتنيم الجهاز سنة كده، إسمه كده، sleep اتكى عليه عشان الجهاز تعب عايز ينام يريحه، فسيبه يقول لك: أصل الملفات والضغط والمش عارف، طب أدي له ننة بس وهو كده أدي له زرار عشان يلم نفسه بس، تروح متكة عليه، فتخيل بقى الجهاز العصبي محتاج برضو شوية sleep كده.

طيب هنا بيقول إيه؟ أرسل الله علينا النوم فما منا رجل إلا ذقنه في صدره، لأنه قاعد مش نايم على جنبه فنايم كده، فذقنه في صدره، نوم قاعد، تمام؟ مهواش نوم واقف يعني، ولا نوم مثلاً ممدد، ولا نايم على بطنه ولا على جنبه، لأ يعني بس علشان restart كده عشان يرجع القوة، قال: وما منا من رجل إلا ذقنه في صدره، قال: فوالله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم، أنا سامع واحد من المنافقين كأن أنا بحلم، يعني أسمع كلمة وكلمة تروح، يقول إيه معتب؟ (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا)، فحفظتها منه، ما هو عشان تتسجل، وعشان الإية تيجي ويبقى في شاهد على المقال، القرآن بيقول: وهم قالوا إيه؟ (لو أطاعونا ما قتلوا)، (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا)، القرآن سجلها من فوق، وفيه شاهد أرضي عندك أهو سمعها بأذانه، علشان ما تقولش: هو إحنا هنعرف قال ولا ما قالوش؟ لا هي مش محتاجة طبعاً تدليل ولا حاجة بس عشان إستكثار من الأدلة وإيه؟ تضافر للحجج، قال: فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله عز وجل يقولون: (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا) دا قول معتب رواه ابن أبي حاتم رحمه الله ده إسناده حسن.

قال الله تعالى: (قل لو كنتم في بيوتكم)، أهي لو أهي، مين اللي بيقول؟ ربنا اللي بيقول: (قل لو كنتم في بيوتكم) وبيأمر النبي أنه يقول لهم، قُل لهم: لو، يبقى لو هنا وحشة ولا حلوة؟ ده أمر إلهي أهو (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتِبَ عليهم القتل إلى مضاجعهم)، تمام؟ يعني لو أنت في بيتك ولا حرب ولا ضرب، ربنا كاتب لك إنك تموت في المكان الفلاني هتقوم تمشي على رجليك كده تروح تموت وتسكت وخلاص، وما تعملش حاجة، دا ربنا كاتب لك في حتة هتموت فيها يبقى هتموت فيها ما لكش حل، يبقى الموضوع مش متوقف على الحرب ولا غير الحرب، هو نفاقك الأبعد؟ اللي خلاك تتقاعد وتعلل إن القتال هو سبب الموت، لا القتال مش سبب الموت، القتال ده طاعة لله سبحانه وتعالى، ده طاعة لله عز وجل، فهو ما يبقاش هو القتال بيساوي الموت؟ ما أنت ممكن تغنم، ممكن تسلم، ولو مُتَ مُتَ شهيدًا شريفًا عزيزًا، ولو قعدت في أرضك هتعيش نذل تموت مفضوح مش مستور، تتفرج عليك أمة لا إله إلا الله يوم القيامة.

(يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا)، فقال الله عز وجل: (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز) يعني لخرج، (لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) يعني إلى مواضع موتهم، كل واحد يروح يموت في الحتة اللي مكتوبة له، يروح يقعد فيها يموت كده، من غير حاجة، قال: أي أن هذا قدر مقدر من الله وحكمٌ لازم لا محيد عنه ولا مناص منه.

وقوله تعالى: (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا)، هنشوف كلام الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى ده من التفاسير العظيمة جدًا، يقول: أي لو سمعوا مشورتنا عليهم بالقعود عن الجهاد وعدم الخروج مع رسول الله ما قتلوا مع من قُتِل.

قال الله تعالى: (قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)، لو أنت هروبك من الجهاد هيخليك ما تموتش، طب جدع ما تموتش، تعرف ما تموتش؟ ما حدش يعرف لازم هتموت غصب عنك، يا بني إذا كنت في شك من الموت فلا تنم، وإذا كنت في شك من البعث فلا تستيقظ، من الأدلة المخرسة، أنت مش عاجبك قانون الموت وإن أنا هحافظ على نفسي وهأخذ بالي من صحتي وأضبط البرنامج الغذائي، وكل يومين ثلاثة أعمل سونار من

ساسي لرأسي وتحاليل وإشاعات، وبعدين؟ لو أنت عشان ما تموتش يعني طب ما بالمرة ما تنامش إيه رأيك؟ لا إزاي ما أنامش؟ طالما إزاي ما أنمش يبقى إزاي ما أموتش؟ هتموت زي ما بتنام، (لتموتن كما تنامون) ده قس بن ساعدة بيقول كده، (لتموتن كما تنامون) هو أنت بتنام غصب عنك من غير إختيار لو أنت شارب بن الدنيا سافه ناشف هتنام يعني هتنام، هيجي وقت الساعة إثنين ثلاثة النهاردة مطبق، هتنام برضو، يبقى هتموت برضو.

يا بني إذا كنت في شك من الموت فلا تنم، وإذا كنت في شك من البعث؛ مش مصدق إن إحنا هنقوم يوم القيامة؟ ما تصحاش لما تنام خليك نايم، جدع خليك نايم، تعرف؟ ما تقدرش برضو، فأنت بتنام غصب عنك وبتصحى غصب عنك، إزاي الواحد بينام بكيفه وبمزاجه ويرنخ في النوم؟ أيوا ما هو أنت لو ربنا سلبك القدرة على النوم ما إنتاش نايم، ولو النوم جالك وأنت مش محتاجه هتنام برضو، والصحيان لو أنت واخد سافف كرتونة منوم هتصحى برضو، إلا إذا كنت مُت بقى يبقى كده موضوع ثاني يعني.

فهنا بيقول إيه بقى سبحانه وتعالى أو هنا ابن كثير بيقول: قال الله تعالى: (قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)، وده من الحجاج العقلي القرآني واضح زي الشمس أهو، كلام يعني بما إن إذًا مش محتاج كلام كثير، أي إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغي لكم ألا تموتوا، والموت لابد آت إليكم، (ولو كنتم في بروج مشيدة)، (فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين).

قال مجاهد عن جابر بن عبدالله: نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي وأصحابه، يعني أنه الذي قال ذلك، وأخرج البيهقي عن أنس أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس، ونحن مع رسول الله ﷺ، ونحن في مصافنا يوم أحد، صفوف الجند المقاتلين، فجعل يسقط سيفي، ما هو بينام، السيف بيقع من إيده، ما هو وردية حراسة، ماسك السيف وواقف إنتباه، يجيله النوم السيف يقع يأخذه ثاني، يقع مرارًا فجعل يسقط السيف وأخذه، ويسقط وأخذه، يبقى دا نام وهو واقف، نام وهو واقف ما قعدش رضي الله عنه وأرضاه.

قال: والطائفة الأخرى المنافقون ليس لها إلا هَمٌ أنفسهم، تمام؟ أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق، (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)، إنما هم أهل ريبٍ وشكٍ بالله عز وجل.

قوله: (قد أهمتهم أنفسهم) يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف، ولذلك لما يجي واحد بقى يرسم دور الشجاعة، يقول لك: لا أنا مانيش خايف، طب ما تنام، يقول لك: لا أصل أنا مش عايز أنام، أنا متعود على السهر، طب ما تنام بس، يقول لك: لا لا لا أنت فاكرني خايف؟ ده أنا ميت من الرعب، وهو ده سبحان الله من آيات الله عز وجل في المواقف الحرجة إنك تنام، أيًا كان بقى الموقف الحرج؛ مصيبة حريق غريق حرب إلى آخره، تهدأ كده، تمام؟ لإن ده أعلى درجة سكون وهدوء إنك تنام، فكده في جمعية قلب شديدة جدًا.

طيب قال شيخ الإسلام رحمه الله وطيب ثراه لما ذكر ما وقع من عبدالله بن أبي في غزوة أحد قال: فلما إنخذل يوم أحد، وقال: يدع رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان، عبدالله بن أبي بن سلول يعني شادد في الكبر والغطرسة جامد جداً جدًا، فمتصور إن الشورى يعني اللي أنا أقوله يمشي، لأ دي مش شورى، النبي مش أنت قلت إقتراحك؟ خلاص النبي رفضه، فلان قال إقتراحه والنبي قبله، مين اللي قال إقتراح كويس؟ شباب المسلمين المهاجرين والأنصار الورور لسه، فبيقول: أخذ بمشورة العيال وساب الناس الكبارة اللي طول عمرها في الملك وفاهمة سياسة الحروب كويس، يدع رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان أو كما قال، لما قال كده إنخذل معه خلق كثير، وقال الكلام ده عشان يطفشهم من النبي ﷺ، تمام؟ زي ما البعداء يقول لك إيه؟ مجلس شورى إيه وبتاع إيه؟ ده شوية عيال أصلاً كلهم، أيوا ما هي نفس المقولة بالضبط، يعني هم تافين في بق بعض زي ما بيقولوا في المثل المصري.

فلما إنخذل أو إنخذل معه خلق كثير، كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك، سبحان الله! يعني كانوا بعيدين عن النفاق، لكن هو كان فيهم بذرة يعني، يعني تحك له على مناخيره كده يتنطط، فهو كان صاحبك مستني كلمة بس، الكلمة جت راح مع اللي راحوا، نسأل الله العفو

والعافية، كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك فأولئك كانوا مسلمين، وكان معهم إيمان وهو الضوء الذي ضرب الله به المثل، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق لماتوا على الإسلام، ولم يكونوا من المؤمنين حقاً، هيبقوا (ممن خلط عملًا صالحا وآخر سيئاً) يعني هيبقوا من عصاة أهل القبلة، تمام؟ الذين أُمتحنوا فثبتوا على المحنة ولا من المنافقين حقًا، الذين إرتدوا عن الإيمان بالمحنة، يعني لو هم ما حصلش الفاس وقعت في الرأس ومش من باب التسخط، بيقول: إنه ده إشارة إلى شؤم سبب النفاق وأخلاقهم، شؤم سبب النفاق وأخلاق النفاق، هي اللي عملت كده، ده ده من باب الإعذار إلى الله، مش من باب التسخط ولا حاجة، فهنا الراجل بيقول: لو أهو، شيخ الإسلام بيقول: لو أهو، لو كان كذا لكان كذا، وما فيهاش إشكال.

يقول: وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم، عشان تعرف طبيعة المجتمع اللي أنت عايش فيه، وتعرف طبيعة الناس، وطبيعة نفسك وطبيعة جيلك وطبيعة أصحابك، والإخوة والمصلين وطلبة العلم والمجاهدين، ده بيقول في زمنه هو؛ هذا حال أكثر أهل زماننا أو أكثر كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم، إذا إبتلوا بالمحنة التي يتضعضع فيها الإيمان ينقص إيمانهم كثيرًا، وينافق كثير منهم، بينعقد في قلبه كفر، عياذاً بالله، طب إيه المضاد من كده بقى؟ الإيمان بيزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، زود رصيد الطاعة عشان تعدي من الأزمات، زود رصيد الطاعة قوي عشان لما تيجي أزمة تعرف تعدي، تبقى تنفذ بجلدك حتى بإيمانك، إنما الإشكالية أنت معتمد على فكرك وعلى ذكائك، واد مطقطق، واد ناصح ويجي وقت الأزمة تنزل على دماغك على طول؛ ما عندكش رصيد، واخد بالك إزاي؟

طيب بيقول هنا: وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو اكثرهم إذا إبتلوا بالمحنة التي يتضعضع فيها الإيمان ينقص إيمانهم كثيرًا وينافق كثير منهم، ومنهم من يُظهر الردة، إذا كان العدو غالبًا، الدنيا ماشية جميلة والبلد حلوة والإقتصاد ماشي رايح جاي وبعدين الناس يعني عايشة عيشة فل، فبقى ولا عبادة ولا زهادة ولا جنة ولا نار ما هي حلوة وماشية زي الفل أهي وربنا بيحبنا وبيدينا ولو ما كنش بيحبنا ما كنش إدانا وماشية ماشية ماشية

هوب الترف الغنى المعاصي المنكرات والدنيا ورد، هوب سلط الله الأعداء على الأمة، نزلوا إحتلوا البلاد، أول ناس يقول لهم: شبيك لبيك عبدك بين إيديك، تحب أبقى نصراني يهودي اللي أنت عايز إيه؟ أنا معك، يُظهر الردة عند إيه؟ عند نزول الأعداء في بلاد الإسلام، لأنه أصلاً نسي إيمانه من زمان، هو ما كنش في باله أصلاً، فمتصور إن هو لو الأعداء، الأعداء اللي إيه اللي يدخل الأعداء بلدنا أصلاً؟ أيوة عشان أنت سيبت دينك وسيبت ربنا وسيبت الإسلام والإيمان والقرآن والطاعات فرضاها ونفلها، خلاص بقيت بعيد جداً جداً الصيدة سهلة، هو أنت فاكر الأعداء بيتفرجوا عليك وقاعدين بيلعبوا؟ لأ ده بيدوروا على خرم يخش منه، أول لما تتسع الفتحة فتحة الهواء يروح داخلين راشقين في البلاد يحتلوها، (ضرب الله مثلاً قرية كانت أمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الخوف)، رقم واحد، (والجوع) رقم إثنين، منين ده بقى إيه كده؟ يقوم من النوم يلاقي نفسه جعان؟ لأ يسلط عليه الأعداء، يقفلوا الحل ينشفوا اللي رايح واللي جاي، ما تلاقيش تأكل، طب ما أنا معي فلوس متلتلة؟ بلها وإشرب ميتها ما عدش لها قيمة شرائية.

العراق العربي المسلم، مش كان الناس عايشين، وكانت الدنيا جميلة، وكان كل الناس تروح تجيب فلوس وتيجي، وبعدين لما إنتشر الزنا بقى والعياذ بالله والخمر والإجرام، والشيعة عاثوا في الأرض فسادًا، سلط الله عليهم أعداءً من جنسهم أو من غير جنسهم لحد أما آل الأمر للإحتلال الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣، إحتلال بالصليب بالحديد والنار عيني عينك كده، ومين اللي دخلهم؟ اللي عمل بيوت الدعارة في العراق، وفي الكولية والكمالية هم اللي شالوا الأمريكان على أكتافهم ودخلوهم البلد، أيوه ما هو كله بيسلم لبعضه عياذاً بالله.

قال: ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبًا، وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة، وإن كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا أي الأبعدين دول مسلمين، يعني هو مسلم على الحلوة بس، إنما في المرة ما يعرفش ربنا ولا يعرف النبي ولا يعرف أي حد، وهم مؤمنون بالرسل بطناً وظاهرًا لكنه إيمان لا يثبت عند المحنة، يبقى مش كل ما نيجي نكلمك في التوحيد تقول: الحمد لله إحنا عارفين ربنا وحامدين وشاكرين

وتمام التمام، ما العينة بينة ما هي قدامي أهي، هو أنا بكلمك على واحد غيرك؟ ما الواقع صاحي قدامي أهو، فين بقى؟ لا فرائض ربنا قائمة؛ ولا محارم ربنا بتُرعى وتُخاف أو تُترك، والدنيا على حل شعرك، وكل ما أجي أكلمك، هو كده خلصت، كده أنت كده عليت مؤشر الإيمان؟ لا دا كلام خطر.

يقول: وهم مؤمنون بالرسل باطنًا، يعني عندهم أصل الإيمان، يدوبك يفرقوا من الكفار، ولكنه إيمان لا يثبت عند المحنة، ولهذا يكثر في هؤلاء؛ أمرتهم بقى؛ ترك الفرائض وإنتهاك المحارم، وتيجي تكلموا يقول لك: ده أنا بحب ربنا قوي، ياه ده أنا بحب النبي أنا بموت في النبي، بأمارة إيه يعني؟ ده الفرائض العادية خالص، اللي هي قاسم مشترك بين جميع أهل الإيمان، اللي هم يقومون بالإيمان الواجب ما أنت ما بتعملش منها حاجة يعني، وهؤلاء يكثر فيهم ترك الفرائض وإنتهاك المحارم، وهؤلاء من الذين قالوا: آمنا، فقيل لهم: لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا، مسلمين ماشي، إنما مؤمنين دي مرتبة عالية ما أنتوش قدها يعني لسه شوية، (لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) يعني لم تؤمنوا الإيمان الواجب يعني، ولكن يدوبك أنت عندك أصل الإيمان اللي يخليك مسلم ما أنتش كافر، (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) يعني لما تتحصلوا القدر الواجب من الإيمان في القلب، وبالتالي ظهر على الجوارح اللي إحنا شايفينه، فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله سبحانه وتعالى، فإن هذا الإيمان الكامل الواجب هو الإيمان، إذا أُطلق في كتاب الله، يبقى لما ربنا يقول الإيمان المؤمنون ءامنوا إلى آخره يبقى هو ده الإيمان الواجب ده المقصود به، كما دل عليه الكتاب والسنة فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب، انتهى كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

وقوله: وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة، قلت الشيخ بقى عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ بيعلق على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قلت: ونحن كذلك رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو، من إعانتهم العدو على المسلمين، والطعن في الدين، وإظهار العداوة والشماتة، وبذل الجهد في إطفاء نور الإسلام، وذهاب أهله، وغير ذلك مما يطول ذكره والله المستعان.

قوله: في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إحرص على ما ينفعك وإستعن بالله ولا تعجز).. الحديث، بيقول هنا: إختصر المصنف رحمه الله هذا الحديث وتمامه عن النبي ﷺ أنه قال: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)، المؤمن القوي إيه؟ بإيمانه مش قوي بيلعب حديد، وإن كان الرياضة مطلوبة يعني بس مش ده مطلب الحديث، المؤمن القوي بطاعته، المؤمن القوي بإيمانه بأقواله الشرعية، المؤمن القوي بولائه لله ولرسوله وللمؤمنين، (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ الخير)، ما هو المؤمن اللي على باب الله اللي لسه كده فيه خير برضو؛ خير الإسلام، تمام؟ ولذلك حتى بتظهر مظاهر الخير دي تلاقي عيل يعني ربنا يهديه ويصلح حاله شر مستطير، لكن ممكن يقف معك موقف رجولة كده من غير سبب، فيه خير والله شكله ابن ناس طيبين، يقول لك: والله يا أستاذ فلان ده أنا كان نفسي والله بس أنت معلش بقى الشقاوة والعفرتة، طب يا ابني ربنا يهديك، مؤشر الخير أحياناً ينور يدي فلاشة كده.

فهنا بنقول بقى: (وفي كلٍ خير) في حديث النبي، (إحرص على ما ينفعك، وإستعن بالله ولا تعجز، ولا تقولن لو كان كذا وكذا أو لو أن أو لا تقل إذا أصابك شيء لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ولكن قُل: قدر الله وما شاء فعل)، طيب (إحرص على ما ينفعك) يعني إيه؟ إحرص على ما ينفعك في معاشك، أكل عيشك، شغلك، دراستك، تمام؟ بيتك أولادك، يعني مصلحتك اللي ربنا؛ الذين ولاك الله أمرهم، ما تجيش تقول لي بقى: أصل أنا طالب علم، خلاص أضيع زوجتي وأضيع أولادي وأضيع أبويا وأمي، وأضيع بيتي وداري وشغلي عشان العلم، لأ العلم يكفر بهذا الكلام مرفوض، أنا طالب علم، الله! طب أنت في دراستك دي في جامعتك دي مش علم؟ لا لا أصل أنا ما بحبش الهندسة، ما بحبش الهندسة! يعني أنت قعدت تذاكر لحد ما جبت هندسة، وبعد ما تخش أولى ثانية جامعة، وخلاص خلاص هتبقى المهندس فلان راح المهندس فلان جه، ما بحبش الهندسة، وبعدين؟ تروح سايب لي الكلية وتروح تبيع لي سواكات على باب الجامع، وتقول لي: إن دي دعوة الله الدعوة تكفر بذلك، إيه الكلام الفاضي ده؟ كلام مرفوض تمامًا، والثالث كان مش عارف طبيب بشري ويقول لك: أصل أنا ما بحبش أنا الطبيب والحاجات ده، أنا هذاكر الأدب

العربي والشعر، أيوة تخلص الطب وهو الأدب هيطير، الأدب محطوط أهو، خلص الطب اللي وراك وبعدين إبقى أديب، تبقى بتبقى مؤرخ براحتك فيما بعد.

فهنا (إحرص على ما ينفعك) وده واجب فرض عليك، (إحرص على ما ينفعك، وإستعن بالله ولا تعجز)، يبقى ما ينفعك في معاشك، دراستك شغلك بيتك ولادك زوجتك أبوك أمك غيطك، ورشتك شغلك صنعتك إحرص عليه، النبي فرض عليك كده، إحرص على ما ينفعك في معاشك ومعادك، إن أنت بقى تقابل ربنا على الإسلام والإيمان، والمعادلة ما هيش صعبة ولا حاجة، (وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تنسى نصيبك من الدنيا)، المعادلة سهلة جداً مش صعبة، (وإنه ليسير على من يسره الله عليه).

قال: والمراد الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة، هو أنا ليه عمّال أتكى على دراستك وشغلك وأبوك وأمك؟ عشان أنا في إفهام عجيبة وغريبة، يجي يحضر الدرس من هنا يقول لك: ل أصل طلب العلم والإمام فلان قال: مع المحبرة إلى المقبرة، والإمام الفلاني باع هدومه عشان الكتب، أيوا ما هو كان راجل مستور، وكانت الدنيا ماشية ومستقرة، تمام؟ ولذلك خلاصة الكلام الإمام الجنيد قالها بكلمة وربي غطاهاك طريق العبادة عندنا حرز رغيفيك أولًا، ثم صف قدميك في محرابك، عشان ما تعيش عالة على حد، حرز هات المم الأول، وبعدين ندور بقى نجيب الكتب تجيب الكشاكيل بعدين، لإن النفقة على الأم والأب والزوجة والأولاد واجبة زي الصلاة بالضبط، إنك تصرف على عيالك فرض زي الصلاة بالضبط، إنك تصرف على زوجتك فرض زي الصلاة بالضبط، إنك تصرف على أبوك وأمك وتمنعهم بدل ما يشحتوا على أبواب الناس، هذا فرض كالصلاة سواء بسواء، وبعدين بقى إذا كان عندك سعة تنقل بطلب العلم، وإلا فجمهور ما يطلبه الطلاب في الأعم الأغلب من العلوم الكفائية مش من العلوم العينية، تمام؟ وقد يكون من الكفاء المستحب مش الواجب كمان، فأنت ما تعيش في دور ما هوش واقعي، أدي إحنا بندرس ليل ونهار أهو، بس أنت أفهم قضية العلم طلبه فهمًا جيدًا، لإن الإشكالية بتقابلنا كثير وعطلت الدعوة وسوقت السمعة في كل حتة، شوف شوية فشلة شوية سقطين شوية ناس لا لهم شغلة ولا مشغلة، الرعاع

كلهم أصلاً لا حد وظيفة محترمة، ولا حد معه قرشين يستروه ولا، فطبعاً ده نموذج سيئ، هو أنت فاكر إن الناس هتقبل الإسلام وأنت نموذج كده رديء بالردائة دي، لأ مش مقبول أبداً.

ولذلك الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى من أئمة الحنابلة كان راجل يعني بيتاجر في الأموال، عنده فلوس تسد عين الشمس، وكان يقول لطلابه، ولما تيجي تجلس في مجلسه وتسمع عن الآخرة والنار تموت من الخوف والرعب، هو كان عابد زاهد، ومع ذلك كان يقول: لولا المال لتمندل بنا هؤلاء، أه ما هو أنت في زمن قانون الناس اللي معه قرش يساوي قرش، واللي ما عهوش ما يلزموش، لو أنت معك حجج الأولين والآخرين وأنت رايح تقول له: أديني أما أكل، أمي عيانة عايزة حقنة، يقولك: أمشي من هنا إحنا ما بنشحتش، تيجي تقول له: طب الدليل والحجة، ابلع دليلك في بقك وإمشي من هنا ما تقرفناش، هتشحت بشرطة؟ إنما لو أنت إنسان عزيز وواقف على رجليك وكده ساتر نفسك وإستغنيت عن الناس وإن كنت فقيرًا، مش بقول لك: لازم تبقى غني، المهم يبقى أنت عملت اللي عليك في سد الخلة ووجوب النفقة هو ده الواجب عليك، طيب نكمل.

بيقول: والمراد الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة ويكون العبد في حال فعله السبب مستعينًا بالله وحده، لإن واحد ثاني الناحية الثانية سايب خالص باب التوكل على الله وسايب خالص باب الإستعانة مع الله، وماشي على نظرية: (إنما أوتيته على علمٍ عندي)، أنا بعرف أجيب القرش من حنك السبع، لا ولا من حنك السبع ولا من حنك الكلب، ما شاء الله كان ولا يشأ لم يكن، ممكن تجري الوحوش وغير رزقك لن تحوش، زي ما أمك وأمي بيقولوا، الكلام منطقي، يعني أنت تجرد من حولك وقوتك وخذ بالأسباب في نفس الوقت، ما هو أنا بقول لك: هي معادلة، ما تمسكش بلاش النظر الأعور، أنت شايف التوكل بس من غير أسباب، أو شايف الأسباب بس من غير توكل، ده مرفوض، الإسلام نظارة مبصر بصيرة تشوف الحاجة على وضعها اللي ربنا سبحانه وتعالى وضعها عليه.

قال مرة أخرى: والمراد الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة، ويكون العبد في حال فعله السبب مستعينًا بالله وحده دون كل ما سواه ليتم له سببه وينفعه، ويكون إعتماده على الله تعالى في ذلك، لأن الله تعالى هو الذي خلق السبب والمسبب، ولا ينفعه سبب؛ أي لا ينفع الإنسان سبب إلا إذا نفعه الله به، تمام؟ ما هو ربنا سبحانه وتعالى اللي وضع خاصية وخصائص الأشياء والأسباب، هو اللي جعلها كذلك، ولو شاء الله عز وجل لنزع منها هذه الخصائص.

قال: ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به فيكون إعتماده في فعل السبب على الله مش على السبب، يكون إعتماده على فعل السبب، يقول لك: أنا ذراعي هو اللي بيأكلني، لا ذراعك ينقطع ذراعك، مش هو اللي بيأكلك، أنت سبب من الأسباب خلقها الله وجعلها سببًا للمكاسب الحلال، ماشي، خذ بالأسباب.

فيكون إعتماده في فعل السبب على الله تعالى، ففعل السبب سنة، والتوكل على الله توحيد، هو عايز يقول لك: شوف الموازنة، السنة يعني مستحب، لأ سنة قد تكون واجبة وقد تكون مستحبة وقد تكون مباحة، يعني يعني مما شرعه الله يعني شِرعة، ففعل السبب سنة يعني من الشرع أن تأخذ بالأسباب، ولذلك قال العلماء: ترك الأسباب قدح في الشرع، ما هو الشرع قال: خذ بالأسباب على الله وتوكلوا، (وتغدوا خماصاً وتروح بطانًا) تمام؟ والشرع قال يعني: (خذوا حِذركم)، والشرع قال: (فإمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه)، تمام؟ أهو الشرع قال: (وسابقوا إلى مغفرة من ربكم) في الأسباب الشرعية، يبقى هنا ترك الأسباب قدح في الشرع، والإعتماد على الأسباب من دون مَن سببها سبحانه وتعالى قدح في التوحيد، وتعطيل الأسباب عن كونها أسبابًا قدح في العقل، طب إعمل إيه؟ الثلاثة مع بعض تتجاوزهم، يبقى هنا لا تترك شرع، ولا تترك التوكل، ولا تترك الأسباب ولا تعطلها عن كونها أسبابًا، هو دي المعادلة، الخلطة كده.

قولـه: (ولا تعجزن) النـون نـون التوكيـد الخفيفـة أو لا تَعْجِـزن، نـهاه ﷺ عـن العجـز وذمـه، والعجز مذموم شرعاً وعقلًا، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال وفي إسناده مقال يعنـي: (الكَيْس من دان نفسه)، الكَيْس من الكِياسة، يعني مِفَتح يعنـي دماغـه كويس، (الكَيْس مـن دان نفسـه وعمـل لمـا بعـد المـوت)، ليـه؟ لإن هـو ده العاجـل والآجـل، الـدائم والمنقطـع، الـدنيا عاجـل منقطع، والآخرة آجل دائم، إحسب يلا، العاقل يقول: لا أنا بدور ببص لقدام، أنا ببص لقدام، (الكَيْس من دان نفسـه)، دان نفسـه مـن الدينونـة، يعنـي عاقبهـا وحاكمهـا، تمـام؟ يقـول: فـلان مَدين، فلان بريء، المتهم بريء حتى تثبت إدانته، أهو دان نفسـه مـن الإدانـة، مـن الدينونـة اللي هي الإيه؟ المعاقبة والمحاكمة والمحاسبة، (الكَيْس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها) كلما إشتهى شيئًا ركبه، (والعاجز من أتبع نفسه هواها)، وفي النتيجة (تمنى على الله الأماني)، لأ دا ربنا كبير وربنا رحيم وربنا وبعد بأمارة إيه ؟ ما هو الرحمة لها موجبات، والكرم له موجبات والجنة لها أسباب، خذ بالأسباب.

قال: فأرشده في هذا الحديث إذا أصابه ما يكره ألا يقول: (لو أني فعلت كذا وكذا لكـان كذا وكذا) ولكن يقول: (قَدَّر الله وما شـاء فعل)، أو ممكن تُقرأ قَدَرُ الله ومـا شـاء فعل، أي هـذا قدر الله واللي حصل حصل بقى هو ربنـا مرتبهـا كده، قدر الله ومـا شـاء فعل، أي هـذا قـدر الله، والواجب التسليم للقدر والرضا به، الواجب التسليم بالقدر دا كلام مقبول صـحيح، إنمـا الرضا بالقدر عند المصائب بالذات مستحب وليس واجبًا، ليه؟ الواجب الصبر، لكـن الرضـا بالمصـيبة هـو أنـت الصـبر إن أنـت تحـبس نفسـك عـن الإيـه؟ التسـخط، مـن جـوة مـا أنـتش متسخط، بس ما أنتاش فرحان، يعني هو حكيم أنا مش زعلان، بس أنـا مـش فرحـان برضـه يعني بس هو حكيم، ده إسمه إيه؟ الصبر ده الحد اللـي مطلـوب كده واجـب، والله لـو لقيـت نفسك مستريح وكل اللي يجيبه ربنا كويس والحمد لله ده كده إحنـا أحسـن مـن غيرنـا بكثيـر، يعنـي أنـت بتتنفـل زي اللـي صـلى الظهـر وبيصـلي السـنة اللـي بعـده كمـان، صـام رمضـان وبيصوم الستة بتوع شوال يعني بتتنفل، يبقـى الصـبر واجـب علـى القـدر والرضـا مستحب، أما الرضـا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ ده ركن الدين لا يصح إلا به

يقول: فأرشده في هذا، فإن قوله: (فإن لو تفتح عمل الشيطان) لِما فيها من التأسف على ما فات والتحسر ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر والرضا، والصبر واجب، والإيمان بالقدر فرض.

قال تعالى: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها)، من قبل أن نبرأ السماوات، من قبل أن نبرأ الأرض، من قبل أن نبرأ المصيبة، من قبل أن نبرأ الأنفس، الضمير هاء ده يعود على كل اللي ذُكر ده، تمام؟ (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب)، (كان ذلك في الكتاب مستورًا)، (إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) أي من قبل أن نخرجها إلى إيه؟ إلى الوجود، هي كانت في علم الله، كان لها وجود علمي، في علم الله سبحانه وتعالى في سابق الأجل، لكن ربنا أخرجها من علمه إلى واقع الحياة وإلى دنيا الناس يعني، (إن ذلك على الله يسير)، ما فيش حاجة صعبة على ربنا سبحانه وتعالى القوي العزيز.

(لكي لا تأسوا) بنقول لكم فيه ده ليه؟ عشان تطلعوا بالنتيجة دي، إيه النتيجة؟ (لا تأسوا على ما فاتكم) ، اللي فاتك فات، اللي فات فات وخلاص، (ما أخطأك لم يكن ليصيبك)، (لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)، (وما أصابك لم يكن ليخطئك)، ده هو ربنا سبحانه وتعالى من رحمته إنه أدى لك، وما تعرفش هو أدى لك مثوبة ولا عقوبة؟ ما هو ممكن الإنسان يأخذ من رزق الله عقوبة مش مثوبة، تمام؟

(إذا رأيت الرجل يعمل بمعصية الله أو إذا رأيت الله يعطي العبد وهو على معصيته فأعلم أن ذلك إستدراج)، ثم قرأ ﷺ (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأُملي لهم إن كيدي متين)، فاوعى تحسب إن ربنا أنت معطل الدنيا كلها، وربنا بيدي لك ويدي لك ويزودك ويعليك ويغنيك ويكفيك، يقول لها: ده أنا كده كده أنا تمام، لأ ما أنتش تمام، خذ بالك ما هو عشان تعرف أنت تمام ولا لأ؟ لو أنت على طاعة الله وبيدي لك خلاص الحمد لله، (تلك عاجل بشرى المسلم)، إنما لو أنت عارف نفسك مفرط، والرزق عمال يلاحقك من كل حتة يبقى فيه مشكلة بقى، صفارة خطر؛ إنتبه!

قال: (لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحب كل مختال فخور)، يبقى مش هنا الفرح مذموم لذاته، الفرح المؤدي إلى الإختيال بالنفس وبالحول والقوة، الفرح الذي يؤدي إلى الفخر على عباد الله وإزدرائهم وإحتقارهم، هو ده الذي لا يحبه الله، (الله لا يحب الفرحين) من النوع ده، اللي مش الفرح حرام، الإنسان يفرح حرام إنه يفرح وتلاقي واحد مبسوط قوي وتقول له أنت مبسوط قوي كده ليه؟ (إن الله لا يحب الفرحين) ده أنت مشكلة غلط كده، لأ ده بيقول: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا)، أنا فرحان عشان ربنا سبحانه وتعالى جبرها معي بالستر، عشان ربنا أعطاني وإن كنت لا أستحق، عشان ربنا سترني، وإن كنت أستاهل الفضيحة والحمد لله سترها، اللهم لك الحمد، وده شيء يفرح ولا لأ؟

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، شوفت جسد من غير رأس إلا جثة في المشرحة؟ فما فيش إيمان من غير صبر، إيمان من غير صبر يبقى جثة يبقى مش إيمان، الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

وقال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن، طبعاً كلها مواضع إيه؟ مواضع مدح ومواضع حث ومواضع فرض وإيجاب، يعني على تفاصيل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وذكر حديث الباب بتمامه أو الباب ثم قال: لا تعجز عن مأمور، ولا تجزع من مقدور، ومن الناس من يجمع كلا الشرين عياذاً بالله، وغالبًا خذ بالك أكثر الناس جزعًا عند المصائب أكثر الناس عجزًا عند الفرائض، متلازمة لا تنفك، أكثر الناس جزعًا عند المصائب أكثر الناس عجزًا عند الفرائض، يعني أكثر ناس مفرطين في حق ربنا لما تجيء مصيبة تلاقيه عمال يشيل من الأرض ويحط على دماغه ويلطم ويصوت وممكن يتجنن، من شدة الصدمة، ليه؟ لإن هو عاجز أصلاً عن طاعة الله، مش أنا قلت لك: الطاعات رصيد تخليك تعرف تستقبل الصدمة، زي اللياقة البدنية، ما هو أنت واحد بيلعب رياضة وعمال من سخن لساقع وحمامات وبيجروا ويعرق ويضر وعضلاته

قد كده، لو رزعته في الأرض يتعدل ينط تاني كده، تخبطه في الحيطة يرجع لك، صح؟ إنما واحد مرخرخ وبتاع، لو إتزحلق في قشرة موزة هيقعد متجبس ست سنين، ما هو ما فيش طاقة أصلاً مش عايز يقاوم الصدمة، صح ولا إيه؟

يقول: لا تعجز عن مأمور، ولا تجزع من مقدور، ومن الناس نعوذ بالله من حالهم، من يجمع كلا الشرين، فأمر النبي ﷺ بالحرص على النافع، والإستعانة بالله، والأمر يقتضي الوجوب، وإلا فالإستحباب، ونهى عن العجز وقال: إن الله يلوم على العجز، لما تبقى تقدر تعمل وتتعاجز وما تأخدش بأسباب القوة فتصل إلى العجز يلومك الله عز وجل، إن الله يلوم على العجز، تمام؟ والعاجز ضد الذين هم ينتصرون، فالأمر بالصبر والنهي عن العجز مأمور به في مواضع كثيرة، وذلك لأن الإنسان بين أمرين، أمر أُمِرَ بفعله فعليه أن يفعله ويحرص عليه، ويستعين الله ولا يعجز، وأمر أصيب به من غير فعله، فعليه أن يصبر عليه ولا يجزع منه.

ولهذا قال بعض العقلاء ابن المقفع أو غيره يعني: الأمور أمران؛ أمر فيه حيلة، يعني تعرف تتصرف فيه، فلا تعجز عنه، وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه، ما هي عجزة وجزعة سبحان الله حروف عجيبة جداً، من بلاغات العربية دي، هم ثلاث حروف هم هم هترصهم كده يديك نتيجة، تلخبط الترصيصة يدي لك نتيجة ثانية، قال: وفي هذا أو هذا في جميع الأمور، لكن المؤمن الذي فيه حيلة هو ما أمر الله به، يبقى ده عايزين مؤمن حِرِك يعني، مؤمن بيعرف يتصرف يعني، مش مؤمن بلوى تشيله من هنا يقع، تحطه كده يميل، وأنا مؤمن والله وبحب ربنا، ما هو بس مش عايزين النوعية دي، ما تنفعش، (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف).

قال: والمؤمن الذي فيه حيلة هو ما أمر الله به وأحبه له، فإن الله لم يأمره إلا بما فيه حيلة له، إذ (لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها)، وقد أمره بكل خير له فيه حيلة، وقد أمره بكل خير، إيه صفة الخير ده؟ خير له فيه حيلة، ربنا مش هيأمرك بخير تعجز عنه، لا يَأمر إلا بما يُستطاع سبحانه وتعالى.

قال: وما لا حيلة فيه هو ما أُصيب به من غير فعله، يبقى هو ده المصائب بقى، وإسم الحسنات والسيئات يتناول القسمين؛ فالأفعال مثل قول الله تعالى: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)، يبقى من جاء بالفعل الذي هو حسنة، فله عليه عشر أمثال الأجر، (ومن جاء بالسيئة) بالفعل الذي هو سيئة (فلا يجزى) عقوبة على فعلها إلا مثل عقوبتها.

وقوله تعالى: (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها)، إن عملتم الطاعات فأنتم مستفيدين بها، وإن عملتم المعاصي فأنتم المتضررين بها، (يا عبادي لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا)، الله لا ينتفع بأعمالنا سبحانه وتعالى، (ولو أن أولكم وأخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم)، مش لله، ربنا غني عن الخلق سبحانه وتعالى، (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) ومثل قوله تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها)، يبقى ده على سبيل المشاكلة والمجازاة، لإن أفعال الله عز وجل ليست سيئة، هي سيئة على الفاعل مش من المعاقب سبحانه وتعالى، (وجزاء سيئة سيئة مثلها).

ومثل قول الله تعالى: (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)، إلى آيات كثيرة من هذا الجنس والله تعالى أعلم.

طب هناخد فاصلة دلوقتي كده، ونكمل جزء بقية الكتاب مع الفصل الثاني التابع في الحلقة القادمة.

نكتفي بهذا القدر.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً